بعضهم ان معناه عافاك الله يا سليم القلب لم اذنت لهم قال ولو بدأ
النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لم اذنت لهم لخيف عليه ان ينشق قلبه
من هيبة هذا الكلام لكن الله تعالى برحمته اخبره بالعفو حتى سكن
قلبه ثم قال له لم اذنت لهم بالتخلف حتى يتبين لك الصادق في عذره من
الكاذب ۝ وفي هذا من عظيم منزلته عند الله تعالى ما لا يخفى على ذي لب
ومن اكرامه اياه وبره به ما ينقطع دون معرفة غايته نياط القلب ۝
قال نفطويه ذهب ناس الى ان النبي صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الآية و
حاشاه من ذلك بل كان مخيرا فلما اذن لهم اعلمه تعالى انه لو لم ياذن
لهم لقعدوا لنفاقهم وانه لا حرج عليه في الاذن لهم ۝ قال القاضي ابو
الفضل يجب على المسلم المجاهد نفسه الرائض بزمام الشريعة خلقه
ان يتأدب بادب القرآن في قوله وفعله ومعاطاته ومحاوراته فهو
عنصر المعارف الحقيقية وروضة الآداب الدينية والدنيوية وليتأمل
هذه الملاطفة العجيبة في السؤال من رب الارباب المنعم على الكل
المستغني عن الجميع ويستثير ما فيها من الفوائد وكيف ابتدأ بالاكرام
قبل العتب وآنس بالعفو قبل ذكر الذنب ان كان ثم ذنب ۝ وقال تعالى
ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا قال بعض
المتكلمين عاتب الله تعالى الانبياء بعد الزلات وعاتب نبينا عليه السلام
قبل وقوعه عليه السلام ليكون بذلك اشد انتهاء ومحافظة لشرائط المحبة
وهذه غاية العناية ثم انظر كيف بدأ بثباته وسلامته قبل ذكر ما عتبه
عليه وخيف ان يركن اليه ففي اثناء عتبه براءته وفي طي تخويفه تأمينه
وكرامته ۝ ومثله قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا

يكذبونك

يكذبونك الآية قال علي رضي الله عنه قال ابو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا
نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك الآية ۝
وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كذبه قومه حزن فجاءه جبريل فقال
ما يحزنك قال كذبني قومي فقال انهم يعلمون انك صادق فانزل الله تعالى الآية
ففي هذه الآية منزع لطيف المأخذ من تسليته تعالى له عليه السلام والطافه
في القول بان قرر عنده انه صادق عندهم وانهم غير مكذبين له معترفون
بصدقه قولا واعتقادا وقد كانوا يسمونه قبل النبوة الامين فدفع
بهذا التقرير ارتماض نفسه بسمة الكذب ثم جعل الذم لهم بتسميتهم
جاحدين ظالمين فقال تعالى ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون فحاشاه
من الوصم وطوقهم بالمعاندة بتكذيب الآيات حقيقة الظلم اذ
الجحد انما يكون ممن علم الشيء ثم انكره كقوله تعالى وجحدوا بها وا
ستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا ثم عزاه وآنسه بما ذكره عن من قبله
ووعده النصر بقوله ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا الآية فمن
قرأ يكذبونك بالتخفيف فمعناه لا يجدونك كاذبا وقال الفراء والكسائي
لا يقولون انك كاذب وقيل لا يحتجون على كذبك ولا يثبتونه ومن قرأ
بالتشديد فمعناه لا ينسبونك الى الكذب وقيل لا يعتقدون كذبك ۝
ومما ذكر من خصائصه وبر الله تعالى به ان الله تعالى خاطب
جميع الانبياء باسمائهم فقال يا آدم يا نوح يا ابراهيم يا داود يا عيسى يا زكريا
يا يحيى ولم يخاطب هو الا يا ايها الرسول يا ايها النبي يا ايها المزمل يا ايها المدثر

الفصل الرابع في قسمه تعالى بعظيم قدره

قال الله تعالى
لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون ۝ اتفق اهل التفسير في هذا
انه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة محمد صلى الله عليه وسلم واصله
ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه وبقائك

Copyright © King Saud University